السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر

ب. أحمد وادي
باحث دكتوراه في العلوم السياسية
كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية
جامعة الجزائر 03
ouadi.itfc@gmail.com

الملخص:

كانت هوية الشعب الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م تتميز بخصوصيات ثقافية، يطبعها الانسجام والتكامل، تمثل ذلك الرصيد الثقافي المشترك لمكونات الأمة.

ولكن بفعل الاحتلال الفرنسي للجزائر وانتهاجه للسياسة الاستعمارية في جانبها الثقافي، تم استهداف هوية الشعب الجزائري ومقومات الشخصية الجزائرية من دين ولغة وثقافة وتاريخ، من أجل تحطيمها وتشويهها، والقضاء عليها، عن طريق سياسات تتعلق بالفرنسة والتنصير ومحاولة الادماج. وقد انعكس كل هذا على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر بعد الاستقلال مخلفا آثار رهيبة، اضافة الى تحديات كثيرة تجابه تحقيق الأمن الهوياتي في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: السياسة الاستعمارية؛ الهوية؛ الأمن الهوياتي؛ التعدد الثقافي؛ ثقافة المجتمع الجزائري.

Résume:

L'identité du peuple algérien avant l'occupation française en 1830 se caractérisée par des spécificités culturelles, par l'harmonie et l'intégration, ce qui représente l'équilibre culturel commun des composantes de la nation.

Mais l'occupation française de l'Algérie et l'adoption de la politique coloniale dans la partie culturelle, a ciblé l'identité du peuple algérien et les éléments de la religion algérienne, la langue la culture et l'histoire, afin de les détruire et de les déformer, Et les éliminer, grâce à l'évangélisation . Tout cela a été réfléchi sur la culture de la communauté et de la sécurité et de l'identité en Algérie , ce qui laisse des effets terribles,Après l'indépendance en plus des nombreux défis auxquels fait face la réalisation de la sécurité et de l'identité en Algérie.

مقدمة:

عاشت الجزائر خلال فترات متعاقبة من التاريخ، ظروف خاصة وأحداث ساهمت في تشكيل خصوصيات ثقافية مشتركة بين المجموعات السكانية، تبرز فيه عناصر قوية غالبة تتمثل في دين الإسلام، اللغة العربية، والثقافة الامازيغية، إلا أن هذا لا ينفي وجود اختلافات ثقافية فرعية، تختلف من منطقة الى اخرى ومن جماعة اثنية الى اخرى كذلك، وهذا ما ميز المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

إلا أن السلطات الاستعمارية عند دخولها للجزائر سعت لإلحاقها بفرنسا أرضا وشعبا، ومحو مقومات الشخصية الجزائرية، وقد استعانت بترسانة من القوانين والاجراءات والسياسات، التي تميزت بقسوتها وبشاعتها، مورست دون رحمة على الجزائريين الذين لم يدخروا جهدا من اجل مقاومة الاستعمار في شقه الثقافي والاستيطاني، من خلال مقاومات شعبية، وجهود فردية وجماعية اصلاحية، في اطار الحركة الوطنية، من أجل شق طريق الاستقلال الذي تحقق في الأخير، بتضحيات جبارة وكفاح مستميت قادته جبهة التحرير الوطني التي جمعت مختلف اطياف ومكونات الشعب الجزائري المقاوم.

إلا أن تلك السياسات الإستعمارية خاصة فيما يتعلق بالجانب الروحي والثقافي، تركت بعض الآثار والسلوكات والأنماط الثقافية الغريبة والدخيلة على المجتمع الجزائري، وذلك نتيجة للتأثر بالثقافة الفرنسية، احتكاكا ومعايشة أو تعلما وتلقينا، وقد زاد هذا من حدة التباين الثقافي في المجتمع، بل أصبح يشكل تهديدا للأمن الهوياتي في الجزائر، بل أكثر من ذلك فهو قد يصل إلى حد تهديد وحدة وأمن البلاد. وهذا يطرح التساؤل إلى أي مدى خلفت السياسات الثقافية الفرنسية الآثار الكفيلة بتهديد الأمن الهوياتي في الجزائر؟ وما هي أهم التحديات التي يواجهها في هذا الإطار ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاء دراسة الموضوع وفق منهج وصفي تحليلي، مقسم إلى خمسة محاور تتناول التعريف بالمفاهيم الأساسية، والتعرض للحالة السوسيوثقافية قبل وبعد الاحتلال وأهم السياسات التي انتهجها الاستعمار في الجزائر وآثارها بعد الاستقلال.

أولا: التعريف بمفاهيم الدراسة: الاستعمار، الثقافة، الهوية، الهوية الثقافية، ، الأمن الهوياتي.

ثانيا: الحالة السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري عشية الإحتلال الفرنسي 1830م.

ثالثا: السياسة الاستعمارية الفرنسية في مواجهة الهوية الجزائرية.

رابعا: آثار السياسة الاستعمارية الفرنسية على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر

خامسا: تحديات تحقيق الأمن الهوياتي في الجزائر.

أولا – التعريف بمفاهيم الدراسة:

1– الاستعمار:

وهو ظاهرة قديمة عرفتها البشرية، ويقصد بها سيطرة دولة على اقليم وشعب دولة اخرى خارج حدودها دون موافقة ورضى أهلها، فيكون اخضاع شعبها واستغلال مواردها وحتى الاستفادة من موقعها، مما يفقدها سيادتها الداخلية والخارجية، فتزول منها صفة الدولة لتصبح مجرد اقليما مستعمرا.[1] ويتحقق الاستعمار من خلال وسائل وآليات المختلفة تندرج ضمن عدة مظاهر: عسكرية، سياسية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية. وهذه المظاهر تتم عن طريق سياسات محكمة يتعلق بها نجاح أهداف الاستعمار وغاياته، سواء أكان هذا الاستعمار يأخذ طابعا تقليديا أو حديثا.

2– الثقافة:

تعرف الثقافة على أنها ما يكتسبه الأفراد والجماعات من قيم وصفات وأنماط ظاهرة وباطنة من السلوكات المادية والمعنوية، تمثل الارث الحضاري الذي يشكل طباع وشخصية الفرد في بيئة معينة. ولعل أحسن من عرف الثقافة هو مالك بن نبي على أنها "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".[2]

وقد اعطى التعريف الشامل للثقافة الذي وضعه العلماء في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1982م، بعدا جماعيا، بتعريفها : "هي جماع السمات المادية والفكرية والروحية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيد والمعتقدات والتقاليد، وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية.."[3]

---

[1] – حسن سيد سلمان، ظاهرة الاستعمار في افريقيا والعالم العربي، مجلة دراسات افريقية، العدد 2، (المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم، أفريل 1986م)، ص 55.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة (ترجمة عبد الصبور شاهين)، ط 4. (دمشق: دار الفكر، 2000م)، ص 74.

[3] – أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ، (الجزائر: دار الأمة، 1996)، ص 14.

فالثقافة اذن ترتبط بالفرد والمجتمع، وهي مكتسبة من خلال المحيط والعلاقات الانسانية بالتأثير والتأثر، كما تشمل السمات والصفات المعينة التي تتعلق بالجوانب المادية والمعنوية.

3- الهوية:

إن مفهوم الهوية مثل معظم مفاهيم العلوم الانسانية ذات الطابع الاجتماعي، لا يزال مفهوما واسعا، ولم يلقى اتفاقا بين مختلف الباحثين والاكاديميين لغموض المفهوم وطبيعته الهلامية، بحيث يحمل الكثير من المعاني والتفسيرات، وله دلالته اللغوية، واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية. فكثيرا ما يتم الخلط بين مفهوم الهوية ومفاهيم أخرى لها صلة أو علاقة بهذا المفهوم، بحيث يصعب على الباحث أن يميز بين مفهوم الهوية والمفاهيم الأخرى المرتبطة بها، على غرار ما طرحته (duvant.D.A) سنة 1980 حين توصلت إلى القول: "بأن ثمة تكافؤا بين الهوية والذات والأنا".[1] ولهذا قد يظهر لنا من الوهلة الأولى بأن مفهوم الهوية يعد بسيط ظاهريا و لا يكتنفه الغموض والتعقيد، لكنه على العكس من ذلك، كونه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته. ومنه نجد أن أغلب التعريفات التي تناولت مفهوم الهوية تشترك في إبراز عنصري التميز والإختلاف، بحيث عرفها من المعاصرين محمد صالح الهرماسي بأنها : "إن هوية ظاهرة ما، هي ما يجعلها مختلفة عن غيرها"، بحيث تمثل الهوية جملة الخصائص التي تميز الظاهرة محل الدراسة، وتكون هذه الخصائص تميزها عن غيرها لإنفرادها بها.[2] فمهما اشترك الناس في الخصائص والمميزات الثقافية والحضارية الواحدة، فاننا نجد ذلك التفرد والاختلاف الذي يميز كل واحد من هؤلاء الناس ويجعله متفردا عن غيره بجملة من الخصوصيات الشخصية. وكما يمكن أن ينطبق هذا على الفرد فإنه ينطبق كذلك على الأمة الواحدة التي تتميز عن غيرها من الأمم الأخرى ولو كانت تشترك في سمات تاريخية وحضارية معينة.

4- الهوية الثقافية:

المقصود بالهوية الثقافية بالمعنى العام هي كل ما يميز جماعة عن جماعة أخرى بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات، فإذا كان المعنى العام لهوية يعني التفرد، فمعنى

[1] - محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، (الجزائر: وزارة الثقافة الجزائرية،2009)، ص 86.

[2] - محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر. (دمشق: دار الفكر، 2001)، ص 20.

الهوية الثقافية هو التفرد الثقافي من خلال العادات والتقاليد والقيم وأنماط السلوك المختلفة، وحتى تلك النظرة إلى الحياة والأشياء والطبيعة، سواء كان هذا بالنسبة إلى الفرد أو الجماعة. [1] وعليه فإن الهوية الثقافية هي الكل المتكامل الذي يمثل التمايز الثقافي والحضاري لأمة من الأمم ويعبر عن الشخصية القومية، وهي تشمل الماضي والحاضر والمستقبل بكل الأبعاد الثقافية .

5- الأمن الهوياتي:

يعرف الأمن على أنه "ضد الخوف"[2]، وهو الحالة من السلم والطمأنينة والأمان وزوال الخوف والتهديد، وقد ارتبط هذا المفهوم بالحاجيات الأساسية للإنسان، والتي تطورت مع تطور أشكال وأنماط الحياة لتشمل الحاجة في البقاء وحماية الأفراد والممتلكات. فالأمن له مفهوم مطاط متعدد المعاني والمستويات ومتغير الأشكال التي تمثل بدورها أبعادا أساسية فيه.[3]

أما الأمن الهوياتي فيستعصي البحث عن تعريف دقيق ومناسب حول مفهوم الامن الهوياتي، لكن يمكن الاعتماد على التعريف وفق وجهة نظر الباحث من خلال منظور شامل، وعليه فالأمن الهوياتي يعني زوال التهديدات الناجمة عن اي علاقات او تفاعلات تؤثر على خصوصيات وسمات الافراد والجماعات، وتحقيق حالة من الأمان التي تضمن الحفاظ على الخصوصيات الشخصية، من الطمس أو التشويه. فالأمن الهوياتي يتعلق إذن بالحفاظ على الهوية ومكتسبات الشخصية من أي أخطار تهدد زوالها او انحلالها او حتى تأثرها بعناصر وسلوكيات غريبة، تغير من طبيعتها، وقد تؤدي بالافراد والجماعات الى الاغتراب.

ثانيا- الحالة السوسيو-ثقافية للمجتمع الجزائري عشية الإحتلال الفرنسي 1830م:

لكل مجتمع خصوصيات ومميزات تميزه، وعرقيات تمثله، وعليه فأهم المجموعات السكانية والعرقية التي كانت تمثل المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي لها، تمثلت في سكان المدن والريف، ضمن خصوصيات ثقافية وأنماط للمعيشة وأسلوب في الحياة، تلتقي عند بعضها وتختلف في البعض الآخر، إلا أنها كانت تشكل ذلك الانسجام الملحوظ.

---

[1] – أحمد علي كنعان، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 25، (سوريا، 2008)، ص 420.

[2] – محمد ابن منظور، لسان العرب. (القاهرة: دار المعارف)، ص 140.

[3] – ذياب موسى البديانة، الأمن الوطني في عصر العولمة. (الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2011)، ص 22.

فقد كان ذلك التنوع ملحوظا في المدن أكثر من غيرها من الأماكن الأخرى، كونها المكان الذي يتجمع فيه السكان من مختلف المجموعات الطائفية ومهنية، والتي تتميز كل مجموعة منها بمميزات وخصوصيات ثقافية، [1] فهذه المجموعات يمكن أن نجملها في:

المجموعة العثمانية، مجموعة "الكراغلة"، مجموعة "الحضر" (البادية)*، مجموعات "البرانية"،** أما بالنسبة للجماعات الأجنبية، فكانت هنالك الجالية اليهودية، ومجموعة "الدخلاء" وتتألف من التجار الأجانب وقناصل الدول الأوروبية، وأفراد البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية والأسرى المسيحيين.[2]

أما بالنسبة الى الريف، فالسكان هناك يمثلون غالبية سكان البلاد، إذ كانت نسبتهم تفوق 90٪ من مجموع سكان الجزائر، وتختلف عاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم الثقافية من منطقة الى اخرى، وتتمثل تركيبتهم البشرية من الأجواد الذين كانت لهم سلطة قوية في مناطقهم، إضافة إلى المرابطين الذي كانت لهم رمزية دينية ترتبط

---

[1]- اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، ط1.(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)،2002. ص ص 53-63.

* أصولهم أندلسية، إرتكزوا على المدن التي مارسوا فيها التجارة والتعليم، وتميزوا برقة الذوق والملبس، وكان منهم الكثير من الفقهاء والعلماء بحيث ساهموا في ازدهار الثقافة والفنون، بحيث وكان عددهم يفوق 25000 نسمة.

** وهم سكان أصليون هاجروا من مدنهم الصغيرة وقراهم إلى المدن الكبرى من مختلف أنحاء الوطن، بحثا عن العمل وحياة اجتماعية أفضل. ومنهم "الميزابيون" (منطقة ميزاب)، و"البساكرة" (بسكرة)، و"الزنوج"، و"اهل الصحراء"، و"الجيجيليون (منطقة جيجل) ، و"الأغواطيون" (منطقة الأغواط)، وجماعة "القبائل" التي لها تاريخ قديم في الجزائر. يقول محمد توفيق المدني في كتابه "هذه هي الجزائر" بأن الأمازيغ (البربر) : "هم سكان المغرب العربي كافة، زهم الذين اخترقوا عشرات القرون من تاريخه، إلى أن وحد الله البلاد تحت راية الاسلام في دائرة العروبة"، وقد قال ابن خلدون المعتز بأصله البربري بأن البربر قدموا من المشرق الكبير، وتأثروا بالحقب التاريخية وتعاقب الحضارات التي شهدتها الجزائر. أنظر : أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر. القاهرة: دار النهضة المصرية،1956، ص 32.

[2]- بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (جامعة قسنطينة، 2010،) ص 37.

بالطرقية، وهناك "قبائل المخزن"* التي تقوم بمهام وأعمال فلاحية وعسكرية وإدارية، وتمثل حلقة الاتصال بين الأرياف والمدن. وهناك أيضا قبائل "الرعية"**، التي كانت تخضع لسلطة "البايات" عن طريق "القياد" والشيوخ، وتعامل عادة بأسلوب القسوة والاضطهاد، خاصة في استخلاص الضرائب. [1] هذا ما يبين التمايز الكبير بين طبيعة الريف والمدينة ومكانتها لدى السلطات التركية والحكام العثمانيين، وانعكاس ذلك بين سكان الجزائر من مختلف الأطياف والأجناس.

أما فيما يخص الحياة الثقافية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر فكانت تتميز بالتنوع الثقافي الذي يشمل مختلف الطبائع والرموز والفنون والعادات والتقاليد وأنماط العيش، ويطبع كل هذا الطابع الاسلامي، الذي يربط بين مختلف مكونات المجتمع الجزائري ويعمل على صهرهم، ويزرع فيهم الشعور بالانتماء إلى بلد واحد وأمة واحدة. فالطابع الإسلامي للثقافة لا يقصد به المحتوى الديني فيها فقط، بل المقصود أيضا هو المحتوى الحضاري بما فيه من تعليم وتنظيم ثقافي وقضائي وعلاقات اجتماعية وفكرية،[2] وهذا لإنتشار المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية، في كل ربوع الوطن والتي كانت عربية، تتكفل بها المؤسسات الخيرية والصدقات والأوقاف والنفقات الخاصة للأفراد، فكان نظام الأوقاف قد أوجد نوعا من الوحدة الثقافية في الجزائر، كونه المورد الأساسي للمدارس القرآنية والزوايا والمعاهد والمساجد والمحاكم.[3]

لقد كانت اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العثمانية بحيث يعتمد عليها رجال الادارة والجيش العثماني، أما اللغة العربية الفصحى فكانت أيضا قوية تنتشر بين أوساط اهل العلم والمثقفين، أما في الأوساط الشعبية خارج المدن الكبرى نجد انتشار اللغة الدارجة واللغة الأمازيغية التي يعتمد عليها في المناطق القبائلية، ولغة العمل التي تدعى "فرانكو أو سابير" وهي خليط من العربية والاسبانية والتركية والايطالية.

* وهي قبائل تتمتع بامتيازات متعاونة مع السلطة في الجزائر و تمثل همزة وصل بين السكان و السلطة المسؤولة عن الامن وجمع الضرائب بين سكان القبائل.

** وهم يشكلون أغلب سكان الريف الخاضع لسلطة البايلك.

[1] – بشير فايد، مرجع سابق، ص 43.

[2] – مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 3. (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، ب ت)، ص 317.

[3] – المرجع نفسه، ص 318.

أما بالنسبة لأشكال وعناصر الثقافية الأخرى، التي كانت سائدة لدى السكان في تلك الفترة، فنجدها تتباين وتختلف باختلاف المجموعات السكانية والمناطق والمناسبات، فمثلا نجد أن اللباس والعادات والتقاليد وكل أشكال الفن والسلوكيات، قد تأثرت بالثقافة العثمانية إلى حد كبير خوصصا في المدن، أما في الريف فنجد الثقافات المحلية هي الغالبة، وقد تأثرت في ذاتها وتشكلت بعوامل ثقافية أخرى تاريخية وبيئية. وهذا ينطبق على كل الاشكال والعناصر الثقافية الأخرى بما فيها ثقافة المرأة، والزواج والأعياد ومختلف المناسبات، وأنماط السلوط كالأكل والبناء والعمران، والعلاقات بين الأفراد ضمن نطاق الأسرة أو المجتمع.

أما بخصوص الدين فإن مختلف مكونات الشعب الجزائري كانوا على دين الاسلام، وأغلبهم على المذهب المالكي،[1] أما العثمانيين والكراغلة وبعض الحضر الوافدين من الأندلس، فكانوا يعتنقون المذهب الحنفي، إضافة إلى وجود أقلية يهودية لا تتعدى 1٪ من مجموع السكان، تمارس شعائرها بكل حرية، بحيث لها معابدها ومدارسها الخاصة تعلم فيها اللغة العبرية والتوراة، وتحتكم الى قضاتها الخاصين وهم الأحبار، ورغم العدد القليل من المسيحيين إلا أنه كانت توجد كنائس أيضا بالجزائر، وكانوا يتحاكمون الى القنصليات المسيحية الموجودة في الجزائر. فعند دخول الإحتلال الفرنسي للجزائر كان يوجد في مدينة الجزائر لوحدها 106 مسجدا منها 92 مالكية و 14 حنفية، إضافة إلى مدارس لتعليم القرآن وتلقين الدروس الدينية. فقد كان التضامن الاسلامي بين السكان سائدا في المجتمع، وكانت كل الديانات تمارس بكل حرية.[2]

ثالثا - السياسة الاستعمارية الفرنسية في مواجهة الهوية الجزائرية:

كان سعي فرنسا لاحتلال الجزائر قبل سنة 1830م، إلى أن توفرت أسباب سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي الذي أستعمل أبشع الطرق والأساليب الوحشية الاستعمارية للقضاء على أي مقاومة وإخضاع السكان وسلب الأراضي والممتلكات، مما أدى إلى إضعاف الجبهة الاجتماعية وتفقير عدد هائل من الجزائريين ماديا ومعنويا، زيادة على موجات المجاعة والمجازر الجماعية، والقوانين الإستثنائية، وقمع الحريات، والتجهيل، نجم عن كل هذا القضاء على مئات الآلاف من الجزائريين.[3] بحيث رأى أغلب رجال

---

[1] - صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، (الجزائر: مطبعة دحلب، ب ت)، ص 204.

[2] - عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر. (الجزائر: دار ريحانة، 2002)، ص 109

[3] - أنظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ. (الجزائر: دار الأمة ، 2013)، ص 636.=

الاستعمار الفرنسي من المؤرخين والباحثين والعسكريين، أن إخماد أشكال المقاومة لا تتم إلا عبر القضاء على الشخصية الجزائرية في نفوس الأفراد، متمثلة في مختلف أشكال الثقافة، والتاريخ، واللغة العربية ودين الإسلام باعتبارها تمثل مقومات الهوية الجزائرية التي تنمي الإحساس بالوحدة وتشكيل الوعي بوجود الأمة الواحدة التي تشترك في هذه المقومات.[1] وما يقصد هنا هو كما أكده الهرماسي، بوجود هويات فرعية ضمن الهوية المشتركة للأمة الواحدة لا تمثل تهديدا على وحدتها وانسجامها، بل أن ذلك يعتبر عاديا كإختلاف خصوصيات الأفراد ضمن الجماعة الواحدة التي تمثل اشتراكهم في سمات مشتركة، وعليه فإن هذه الهويات الفرعية هي التي تمثلها المجموعات الثقافية في المجتمع الواحد، تبرز فروقات ثقافية بينهم. فوجود هويات فرعية ضمن هوية الأمة شيء طبيعي وصحي، إلا إذا تدخلت قوى سياسية وأجنبية في تحريك وتغذية هذه الفروقات الثقافية، لتصبح تهدد تماسك المجتمع ووحدته، وتتطور مطالبها الى حد المطالبة بالانفصال عن المجتمع والدولة.[2] فالحالة الاستعمارية في المغرب العربي تميزت عن نظيرتها في المشرق العربي باستهدافها تحديدا لأشكال الهوية ومكوناتها، وتمزيق النسج وتحييد البنى التقليدية التي كانت اساس لحمة المجتمع، وأيضا تعمد الاستعمار الى احداث عدة انقسامات في المجتمع ادى بدوره الى افراز انقساما فيما بعد على مستوى البنية الهوياتية للمجتمع.[3]

لقد ساهمت السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا الى حد كبير في تشويه هوية الشعب الجزائري عبر سياسات واجراءات وقوانين، كان الهدف منها القضاء على اللغة العربية والدين الاسلامي، والفرنسة، أي الإلحاق بالثقافة الفرنسية، والتنصير، والعمل على افتعال النعرات والفتن بين افراد الشعب الواحد عملا بسياسة فرق تسد، إضافة إلى تطبيق سياسات ثقافية متعددة الأشكال اثرت في البنى الثقافية فيما يتعلق

=أنظر: أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية.(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص ص 15-18.

[1] – أنظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من **1830** إلى 1989،ج1. (الجزائر: دار المعرفة ، 2006)، ص 152.

[2] – أنظر: محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر. (دمشق : دار الفكر، 2001)، ص 25.

[3] – حامي حسان، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي، مجلة العلوم الإنسانية والإجماعية، العدد 29 (جامعة مسيلة، جوان 2017)، ص 55.

بالجوانب المادية كالعمران والفنون وطبائع العيش، وأيضا الجوانب المعنوية اللامادية كاللغة، والدين والعادات والتقاليد ومختلف السلوكات والأنماط.

ومن أهم السياسات الفرنسية المتبعة الموجهة لطمس الهوية الجزائرية، وتحقيق الادماج الثقافي بمحو مقومات الشخصية الجزائرية:

1- سياسة الفرنسة:

ويقصد بها نشر الثقافة الفرنسية واحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مناحي الحياة الاجتماعية، من أجل قطع صلة المجتمع الجزائري بتاريخه وثقافته العربية الاسلامية، والذوبان في بوتقة الأمة الفرنسية، وانتاج اجيال ممسوخة لا تعرف عن تاريخها وثقافتها شيئا، وقد فرضت السلطات الاستعمارية اجبارية التعليم في مؤسسات التعليم الفرنسية، وفق مناهج فرنسية تركز على تدريس تاريخ وجغرافية فرنسا وعدم الخوض في تاريخ الجزائر وجغرافيتها، وهذا من أجل زرع القيم الفرنسية لدى الجزائريين، وقطع ارتباط بماضيهم وحضارتهم. فقد اصبحت اللغة العربية وفق هذه السياسة لغة اجنبية في الجزائر، خاصة عندما فرضت الفرنسية في المحيط الاجتماعي وفي مختلف الهيئات والمؤسسات والإدارة، ووسائل الاعلام، ومختلف المعاملات.[1]

2- سياسة التنصير:

وهو محاولة احلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر، لتمسيح الجزائريين كي يسهل ادماجهم بفرنسا، عن طريق التضييق على الدين الاسلامي ومؤسساته، بالقوانين والاجراءات التعسفية، ومصادرة الاوقاف التي كان يمول منها، والتضييق على الشيوخ والأئمة ورجال الدين وطلبتهم، وبغلق المساجد والكتاتيب والمدارس القرآنية ومصادرتها، إضافة الى ما هو أهم فتح المجال امام المبشرين من أجل تنصير اكبر عدد من الجزائريين وأبنائهم، والأطفال اليتامى مشردين، وهذا بإغرائهم بمساعدات اقتصادية للفقراء والمحتاجين الذين انهكهم الفقر والجوع من جراء سياسة المستعمر، أو بمحاولة تضليلهم وتشكيكهم في عقائدهم وهويتهم، بالخصوص في المناطق التي يحمل سكانها ثقافات بعيدة نسبيا عن الثقافة العربية، مثل منطقة القبائل التي اريد فيها نشر اكاذيب تاريخية كي ليسهل دمج سكانها.[2]

---

[1] - أنظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من **1830** إلى 1989، ج 1. (الجزائر: دار المعرفة ، 2006)، ص 152.

[2] - أنظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ. (الجزائر: دار الأمة ، 2013)، ص 636.

3- محاربة وتشويه الثقافة العربية والاسلامية[1]:

استهدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر ثقافة الشعب ولغته ودينه نجم عن ذلك أضرار بالغة، أثرت في الأجيال المتعاقبة وفي البنى الثقافية وأنماط الحياة الاجتماعية وتركت أيضا بصمات مشوهة في ثقافة المجموعات السكانية بشكل نسبي ومتباين، أصبح يشكل تهديدا على الأمن الهوياتي في الجزائر.

فبالنسبة الى اللغة العربية لا يخفى على الجميع انها كانت مستهدفة من قبل السلطات الإستعمارية، و بحيث أرادت هذه الأخيرة اضعافها والتخلص منها، فحشدت لها ترسانة من الإجراءات التعسفية والقوانين القاسية لتتخلص منها ومن مؤسساتها تعليمها، بحيث قال الشيخ الفضيل الورثيلاني في هذا الصدد "بأن فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية في الجزائر كان ولا يزال في نظر الفرنسيس أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر استعدادا لثورة وأخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم، فقد شهدت المحاكم الفرنسية في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين، لمحاكمتهم على صعيد واحد".[2] وقد أدى هذا بفرنسا إلى فرنسة التعليم في مختلف أطواره، وعمدت على تشويه وتحطيم اللغة العربية، لأنها لغة القرآن ولسان الأمة العربية والاسلامية.[3] كما اصدرت فرنسا عدة قوانين لمحاربة اللغة العربية تعددت على مر السنين، زيادة على اضطهاد مدرسي ومعلمي اللغة العربية والاستيلاء على مؤسساتها التعليمية وتسخيرها في خدمة الاستعمار، واتلاف المكتبات والمخطوطات والسجلات العربية، وقد نجم عن هذا اضعاف اللغة العربية على حساب اللغة الفرنسية وبعض اللهجات المحلية واللغة الدارجة. أما بالنسبة الى دين الاسلام فقد تم تشويهه من خلال تحكم فرنسا في تعيين رجال الدين الذين يبدون ولاء وإخلاصا لها من رجال الطرق والأئمة والخطباء والمفتين والمدرسين، كما استمالت الى صفها رجال الطرق المنحرفين عن طريق الاسلام، بعد ان اخضعتهم عسكريا وأخذت تغدق عليهم الأموال ليقيموا (الولائم) وسخرت لهم وسائل الاعلام لنشر نشاطات هؤلاء (الموصولين

[1] – أنظر: صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة **1830** إلى سنة 1962، (الجزائر: مطبعة دحلب، ب ت)، ص 212.

[2] – عثمان أمقران، نظرات فاحصة في كتاب الجزائر الثائرة، جريدة البصائر، العدد893 ، (الجزائر، 15 جانفي 2018).

[3] – عمر الحاج مسعود، حقيقة الغزو الفرنسي للجزائر وبعض آثاره، مجلة الإصلاح، العدد 6، (الجزائر : دار الفضيلة، ديسمبر2007)، ص 89.

بالله)، كما استعملتهم في محاربة جمعية العلماء ودعوتها الإصلاحية وكل العلماء المصلحين، وعليه فقد ادى ذلك كله الى انتشار أفكار الشرك بالله والاستلاب والشعوذة، بين أفراد الشعب.[1] كما قامت بافتعال الصراعات المذهبية عملا بسياسة فرق تسد بين المسلمين.

4- سياسة التجنيس والإدماج:

من خلال هذه السياسة سعت فرنسا ادماج الشعب الجزائري بفرنسا وسلخ شخصيته الجزائرية وسلب مقوماتها من لغة ودين وجنس. ويعني بالادماج هنا "ربط الجزائر اجتماعيا وسياسيا واداريا بفرنسا، وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في القومية الفرنسية". فيصبح الجزائريون يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات مع الفرنسيين، بل يصبحون مواطنين فرنسيين يكتسبون الجنسية الفرنسية شرط التخلي عن هويتهم الاسلامية.[2]

رابعا - آثار وانعكاسات السياسة الاستعمارية الفرنسية على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر المستقلة:

خلفت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر عدة آثار وانعكاسات أصبحت تأثر في الطبيعة البنيوية للمجتمع الجزائري بما يتضمنه من مكونات ثقافية، فأصبح يلاحظ ظهور انماط وأشكال وسلوكات غربية عن مجتمعنا لم يكن لها وجود قبل الاحتلال الفرنسي، فأثر السياسة الاستعمارية يبدو واضحا في مجال الثقافة والذي كان يتميز بالتنوع والتكامل قبل الاحتلال، ويتفرد بخصوصيات ذات العلاقة بمقومات الشخصية الجزائرية المتمثلة في الاسلام والعربية والثقافة الامازيغية والتاريخ المشترك بين الأفراد والجماعات في المجتمع الواحد. ومن بين أهم الآثار والانعكاسات التي أصبحت تهدد أمان التنوع الثقافي والأمن الهويات في الجزائر هي :

1- ظهور أنماط وسلوكات استهلاكية غريبة عن ثقافة المجتمع الجزائري، خصوصا في المناطق الحضرية لتأثرها بالقيم الثقافية الفرنسية واحتكاكها المباشر بالمستعمر، تتعلق أساسا بطرق بالجانب المادي والمعنوي للثقافة، تتضمن، العمران، والأدب، والآثار والفنون،

[1] - صالح عوض، مرجع سابق، ص211.

[2] - أنظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ. (الجزائر : دار الأمة، 2013)، ص 642. و أنظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1989،ج1. (الجزائر: دار المعرف، 2006)، ص 154.

والسلوكات الاستهلاكية كالأكل، واللباس، والعمران، والفلاحة، وحتى الادارة، وبعض المعاملات، وهي نتائج السياسات الثقافية في الجزائر (1830-1962).[1]

2- ظهور الطبقة المفرنسة بعد الاستقلال، من نخب ومثقفين ومتعلمين، والذين نشئوا في المدارس الفرنسية، تأثروا بالقيم والثقافة الفرنسية، مما يجعل منهم جهاز ثقافي في خدمة الفرنسة ونشر الثقافة الفرنسية، من لغة وأدب وفنون وسلوكات وأنماط عيش فرنسية.[2]

3- ظهور ثنائيات ثقافية متناقضة على الساحة الثقافية الجزائرية طرحت في شكل: "عربي- بربري"، "مفرنس- معرب"، "سلفي- حداثي"، إلى جانب بروز إشكالية كبرى تواجه الباحث في مجال فحص عناصر ومقومات البنية الثقافية.

4- المخلفات اللغوية الفرنسية التي افرزت مجموعتين ثقافيتين، وظهور مصطلحات مثل "المعربين والمفرنسين" نستشف من هذا الأزمة اللغوية والثقافية في الجزائر، وقد غذى هذه الصراعات الرهانات السطوية والايديولوجية والجدالات الايديوسياسية.[3] وارتأينا أن نضع جدولا يبين طبيعة الصراع اللغوي والنزاع حول اللغة في الواقع.

جدول يبين طبيعة الصراع اللغوي في الجزائر

المعربون في مخيلة الآخر	الآخر في مخيلة المعربين
شعبيون- أصوليون، متخلفون، عروبيون، إسلاميون، برجوازيون، ظلاميون، أعوان الديكتاتورية، مرتزقة.	بربريون، ماركسيون، مضادون للوحدة الوطنية، فرنكفونيون، محبو الفرنسية، الخونة والخونة الجدد.

المصدر: اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2002. ص187.

5- ظهور بما يسمى غلاة البربرية الذين كانوا مستهدفين بالدرجة الأولى في شخصيتهم وثقافتهم من قبل المستعمر، من خلال زرع اساطير تاريخية باطلة، ومحاولة ادماجهم، وتنصيرهم وزرع الثقافة الفرنسية فيهم، باعتبارهم قريبون عرقيا الى فرنسا على حد قولها، فغلاة النزعة البربرية يدعون لإعتبار الامازيغية اللغة الوطنية الأولى

[1] - أنظر: كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962) (ترجمة وتعليق نذير طيار). (الجزائر : دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني ، 2016)، ص ص 100-102.

[2] - مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، (ترجمة حنفي بن عيسى)، الجزائر : دار القبة للنشر، 2007، ص ص 425-426.

[3] - اسماعيل قيرة وآخرون، مرجع سابق، ص 181.

مع تفضيل اللغة الفرنسية على العربية عمليا.[1] ففي أواخر الستينيات تأسست في فرنسا "الأكاديمية البربرية" و "جماعة الدراسات البربرية" و "إتحاد الشعب الأمازيغي" وهذه الهيئات جاءت كرد فعل لسياسة التعريب المنتهجة في تلك المرحلة وأيضا هي بمثابة أدوات للإعتراف بالأمازيغية.[2]

6- تخلي معظم المجموعات السكانية عن بعض عاداتها وتقاليدها وموروثها الثقافي، وهذا للظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة والقاسية التي عاشتها خلال فترة الاحتلال وما صاحبها من سياسات، كتخليهم عن بعض العادات المتعلقة بسلوكيات ومفاهيم متعلقة بالكرم والجود، والاحتفال بالضيف، واكرام المحتاج واعانته، مثل ما يتعلق باقامة الولائم والاحتفالات وطريقة اللباس في المناسبات والأعياد.

7- ادت سياسة الاستعمار والظروف القاسية التي فرضها على السكان بانتشار نسبة الأمية والجهل، فكان انتشار الدارجة، مع تأثرها بحالة التدهور التي أدت حسب مصطفى الأشرف إلى افساد اللغات الشعبية التي تعتبر رصيد ثقافي للمجموعات السكانية في الجزائر[3]

8- ما أثر أيضا على تشكيل هوية الشعب وصقل شخصيته هو تلك الثقافة البرجوازية الصغيرة التي كان تحتل مكانة في اوساط فئات معينة من الشعب الذين كانوا في تفاعل مباشر مع سلطات الاحتلال، إضافة الى تأثرها بالقومية الشرقية التي ساهمت في خلق ممارسات ومفاهيم جديدة في ثقافتنا لم تعرف من قبل.[4]

خامسا - تحديات تحقيق الأمن الهوياتي في الجزائر:

يواجه تحقيق الأمن الهوياتي في الجزائر، عدة تحديات تأخذ أشكال وأبعاد مختلفة اجتماعية، ثقافية، وسياسية، تهدد ثقافة المجتمع بالطمس والانحلال والتميع، هذا إضافة إلى التهديدات الراهنة المحلية والاقليمية والدولية. ومن بين أهم التحديات التي ارتأينا ذكرها هي :

1- ورثت الجزائر بعد الاستقلال وضع السوسيولغوي يتميز بالتعقيد، على اعتبار وجود أربع لغات مستخدمة بتفاوت حسب السياق أو المجال، وهي العربية الفصحى

---

[1] - أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية. ط2، (الجزائر : دار الأمة، 1997)، ص ص 35-36.

[2] - يسعد شريف صحراوي، مسألة الثقافة في الجزائر بين الهوية والاندماج، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، العدد 9 (جامعة الجزائر3، فيفري 2016)، ص 151.

[3] - مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص 434.

[4] - نفس المرجع، ص 440.

والفرنسية اللتان يستخدمان في المجالات المعرفية والنواحي الرسمية، إضافة إلى اللغة الجزائرية العامية واللغة الأمازيغية التان يتوزعان في مختلف المناطق ويشكلان لغة الحياة اليومية، هذا ما يفرز ذلك التمايز الذي يصل حد التنازع بين الفرنكفونية والعربية والأمازيغية.[1]

2- عجز المنظومة الثقافية عن أداء الوظائف الأساسية المنوطة بها بما يحقق التكيف مع الحياة، فهي لم تستطع تقديم اجابات متكاملة عن الاسئلة التي يطرحها العصر والتغيرات إضافة إلى بيروقراطية القطاع الثقافي وانعدام مشروع وطني ثقافي شامل يعترف بالتنوع الثقافي والنخب الثقافية ويشجعهم في مسارهم الثقافي، أيضا يكمن هذا العجز بسبب استغلال القطاع الثقافي في خلق ثقافة رسمية لأغراض سياسية وايديولوجية لكسب اعتراف خارجي تفتقده.[2] وهذا على حساب دعم الجمعيات الناشطة في هذا المجال ودعم المجتمع المدني الذي له دور في صون ثقافة المجتمع والتعبير عنها، بحيث يقول في هذا الصدد أعاب رئيس جمعية الكلمة الثقافية طريقة تعامل وزارة الثقافة مع المثقفين والجمعيات الفنية والثقافية الناشطة في المجال الثقافي وأنها تعاملهم كالغرباء، وتمارس عليهم أشكال البيروقراطية من قبل بعض موظفيها الذين يتعاملون مع الثقافة الوطنية على أنها رجعية، بينما تجد مفهوم الثقافة عند هؤلاء محصورا في حفلات الرقص والغناء لا غير.[3]

3- تواجه الهوية الثقافية الجزائرية أيضا خلل زمني، بحيث يتخندق جزء منها في الماضي له نظرة عن الحياة الاجتماعية التي يجب أن تكون، على شاكلة الحياة الاجتماعية في صدر الاسلام، وهناك مجموعة آخر ترى أنها يجب أن تكون على شاكلة ثقافة الدولة النوميدية في الماضي القديم بما يشمله من عادات وتقاليد، وهناك جزء آخر ضبط بوصلته تجاه البحر، فهو لا يرى إلا ما ينتجه الغرب، وما سوى ذلك فيعتبر تخلفا ورجعية. ويمثل كل جزء ن هذه الثقافة فريق من المثقفين، فيما لا يكترث الانسان العادي بذلك لأن هدفه الاول هو السعي وراء لقمة العيش والحياة الهادئة، وهذا ما يولد

[1] – حامي حسان، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي، مجلة العلوم الإنسانية والإجماعية، العدد 29 (جامعة مسيلة، جوان 2017)، ص57.

[2] – معاناة المثقف الجزائري من البيروقراطية في القطاع الثقافي حوار مع المختص في الشؤون الثقافية الدكتور عمار كساب، تم الاطلاع عليه من موقع المرصد الجزائري، على الرابط : https://marsadz.com/

[3] – جمعية الكلمة ترد على وزير الثقافة، جريدة الجزائر الجديدة، العدد 2310، (يوم الاثنين 2016/10/10)، ص 5.

الأزمة في الثقافة الجزائرية كونها لا تستطيع الموازنة بين متطلبات المستقبل والحاضر والماضي، وفق رؤية تكاملية حضارية.[1]

4- ظهور ما يسمى بتعايش الذوات المتناقضة في الجزائر، بسبب الولاءات الثقافية، وهي :

- الذات الاسلامية التي تتخذ من الاسلام اطارها المرجعي في التعامل مع الواقع.
- الذات المعربة التي تحمل شعار العربية لغة وامتدادا.
- الذات الامازيغية التي تدعو الى العودة الى الاصل التاريخي القديم، في بناء الدولة.
- الذات المفرنسة التي افرزتها السياسة الفرنسية في الجزائر في عهد الاحتلال.[2]
- كما أنه يمكن القول بظهور الذات ذات البعد العالمي المتأثرة بافرازات العولمة.

5- شهدت المنظومة التربوية عدت اصلاحات لما نجم عنها من اختلالات تتعلق اساسا بالمناهج وأوليات ادراج مضامين ثقافية تتعلق بهوية المجتمع وثوابت الأمة، بحيث لازلت لحد الآن لم تشهد هذه المنظومة استقرارا، ولم تحقق اهدافها بشكل مرضي مما دفع بالوزيرة الى التصريح مؤخرا بضعف مستوى التلاميذ، رغم أن هذا التصريح يخضع أيضا الى رهانات سلطوية.[3] إن أهمية المنظومة التربوية وعلاقتها بالأمن الهوياتي تكمن في الحفاظ على ثقافة الأمة واستدامتها بتلقينها وزرعها في الأجيال، فأي انحراف عن تحقيق أهدافها له ذلك الأثر البالغ في الأمن الهوياتي في الجزائر.

6- يتمثل التحدي الآخر في المد الفرنكفوني في دول شمال افريقيا عامة وفي الجزائر خاصة، باعتباره يمثل خطرا على سيادة هذه الدول وأمنها الهوياتي، فمن أخطر أهداف الفرنكفونية هو الغزو الفكري والثقافي لهذه الدول والسعي لربطها مع فرنسا سياسيا وثقافيا واقتصاديا، فكريا واجتماعيا، ومنه ضمان مصالح فرنسا، وذلك يتم عن طريق آليات ووسائل منها وسائل الاعلام المختلفة، الشراكة والاتفاقيات والتبادلات بين هذه الدول وفرنسا فيما يخص مجال الثقافة والتعليم والتكوين، وحتى مجال التجارة والاستثمار، وتوحيد الأنظمة والأنماط الادارية والقانونية والسياسية، إغراءات مشبوهة للنخب والفئات المعينة الفاعلة في المجتمع للقدوم والتعاون مع فرنسا في مجالات متعددة.

---

[1] - ميمونة مناصرية، هوية المجتمع الجزائري في مواجهة العولمة من منظور اساتذة جامعة بسكرة، (اطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية)، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012، ص 302.

[2] - اسماعيل قيرة وآخرون، مرجع سابق، ص 203.

[3] - أنظر: جريدة النهار،الجزائر، العدد 2154، يوم 2018/01/30، ص 3.

ويعتبر هذا إمتدادا للمد الاستعماري في هذه الدول التي تبقى تحت اهتمام فرنسا دائما، باعتبارها رصيد لا يمكن التخلي عنه.[1]

7- رغم خروج فرنسا من الجزائر في جويلية 1962 الى وأنها لازالت تملك نفوذا واسعا في دوائر مختلفة في الدولة يمكنها ذلك بالتأثير في عملية صنع القرار، فهي لازالت تواصل عبر دوائر معينة تمارس نفس السياسة التي مارستها من قبل للتقويض من امتداد اللغة العربية والثقافة الاسلامية، مقابل الحفاظ على مخلفات الثقافة الفرنسية في بنى المجتمع والدولة، مستغلة بعض النخب والجماعات ممن تأثر بثقافتها وقيمها أو حتى عملائها في الجزائر، وأيضا بالسعي لافتعال صراع بربري عربي وتغذيته عن طريق التأسيس لحركات ثقافية مشبوهة كتأسيس الأكاديمية البربرية في فرنسا سنة 1967، و دعم أطراف متآمرة ضد أمن ووحدة الجزائر كحركة الماك الارهابية، التي تطالب بتقسيم الجزائر، ونسف التشكيلة الثقافية المكونة للهوية الجزائرية.[2]

8- يقتضي بناء سياسة ثقافية متكاملة في المجتمع، بضرورة أن تكون السياسة العامة نابعة من القيم الحضارية للمجتمع وثقافته السائدة، وهذا ما أكده دافيد ايستون في تصوره المتكامل عن السياسة العامة، فإن فشل معظم السياسات التي تنتهجها الدول خصوصا في المجال الثقافي والاجتماعي يعود سببه الأساسي اهمال الجانب القيمي للمجتمع في صنع السياسات، بل الذهاب إلى حد استيراد نماذج أجنبية نجحت في بيئتها التي هيئتها الظروف الثقافية لها. فالجزائر بلد يتمتع بخصوصيات ثقافية خاصة تقتضي اخضها بعين الاعتبار في صنع أي قرار سياسي يتعلق بالبنى الثقافية والاجتماعية في المجتمع.[3] وبالتالي فإن فشل السياسات الثقافية منذ الإستقلال في تحقيق اهدافها يعود اسبابه إلى انتهاج الدولة توجه ايديولوجي معين وإلى التوظيف السياسي لقطاع الثقافة في تحقيق الأهداف السياسية مما شكل ثقافة رسمية لا تعبر عن ثقافة المجتمع والتنوع الثقافي.[4]

---

[1] – أنظر: د.ادريس جنداري، الفرنكفونية إيديولوجية استعمارية بغطاء ثقافي جديد، دراسات، موقع التجديد العربي، نشر يوم: 2011/06/11، على الرابط الالكتروني : *arabrenwal.info*.

[2] – محمد دخوش، محددات النفوذ الفرنسي، يومية الرائد، العدد 526، نشر يوم الثلاثاء 2013/12/17، ص 3.

[3] – سالي العيفة، المحاضرة الخامسة (النظرية ما بعد السلوكية للسياسة العامة)، محاظرات في نظريات واساليب صنع السياسات العامة، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر3، السنة الدراسية 2014/2013.

[4] – معاناة المثقف الجزائري من البيروقراطية في القطاع الثقافي حوار مع المختص في الشؤون الثقافية الدكتور عمار كساب، تم الاطلاع عليه من موقع المرصد الجزائري، عل الرابط : *https://marsadz.com/*

9- يعاني المجتمع من ضعف التنشئة السياسية والثقافة السياسية التي تبقى بين هشاشة المضمون وسطحية الشكل، ذلك يجعل أفراده بعيدين عن نيل حقوقهم وأداء واجباتهم، والتعبير عن طموحاتهم ورغباتهم، وطرح انشغالاتهم بالطرق الملائمة، هذا ما يجعلهم بعيدين عن امتلاكهم القدرة على الخوض في المسائل الثقافية الكبرى والشأن السياسي الذي يحدد مسارها،[1] وهذا أيضا شأن النخب المثقفة التي أضعفت نظرا لعدة أسباب نذكر منها ضعف العملية الديمقراطية ولوجود ممارسات سلبية تنخر النظام السياسي في الجزائر، زيادة على ضعف هيئات المجتمع المدني وعدم وجود رأي عام موحد، وغياب الوعي بصفة عامة لهته المسائل الثقافية.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن سياسة فرنسا الاستعمارية استهدفت طمس الشخصية الجزائرية وهوية الشعب وثقافته، وتفكيك تلاحم مكوناته التي كانت منسجمة من قبل في اطار الامة الواحدة، من خلال تطبيق سياسة الفرنسة والتنصير ومحاولات التجنيس والإدماج، وتشويه الثقافة العربية الاسلامية ومحاولة خلق النعرات والفتن والتفريق بين أفراد الشعب الواحد من خلال سياسة فرق تسد، انعكس كل هذا بعد الاستقلال على المجتمع الجزائري مخلفا آثار ثقافية سلبية وخطيرة تشكل تهديدا للأمن الهوياتي في الجزائر، خصوصا في ظل وجود تحديات تعيق تحقيقه وتوفير متطلبات وحدة المجتمع وانسجامه ثقافيا والحفاظ على ثقافته من الانحلال.

وعليه فمن خلال الاستنتاجات يمكن وضع مجموعة من المقترحات تتعلق بآلية تحقيق وضمان الأمن الهوياتي في الجزائر ومن أهمها :

1. ضرورة إشراك مختلف الفاعلين المعنيين بصنع السياسة الثقافية والاجتماعية وتنفيذها، من خبراء ومثقفين وأكاديميين ورأي العام والمجتمع المدني ومؤسساته، وأيضا مختلف المكونات في المجتمع التي تمثل ذلك التنوع الثقافي فيه، هذا سيساهم في تشكيل سياسة ثقافية واجتماعية تعكس صورة وخصوصيات المجتمع وتلبي حاجاته.
2. توسيع دور المجالس الاستشارية العليا في الدولة من الاستشارة الى المشاركة في صنع القرار السياسي المتعلق بمجالات الثقافة والهوية الوطنية، هذا كضرورة مساهمة المجلس الاعلى للغة العربية من تمكين اللغة وصونها من الطمس والتشوه وتعزيز

[1] - أنظر: أ بن نعوم، الثقافة السياسية في الجزائر بين هشاشة المضمون وسطحية الشكل، يومية الجمهورية، العدد 6115، نشر يوم 2017/02/25، ص 17.

وجودها في مؤسسات الدولة، وأيضا تفعيل دور المجلس الاسلامي الاعلى في مجال محاربة المذاهب والأفكار الغريبة عن المجتمع التي تنشر ثقافة التطرف والارهاب أو ثقافة التميع والانحلال.

3. وضع مشروع ثقافي واجتماعي شامل ينبع من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية بأبعادها المختلفة، وبتنوعها الثقافي، والتمكين لهذا المشروع الجزائري الذي يعكس هوية المجتمع الجزائري المتماسك، برصيده الثقافي والحضاري عبر التاريخ، وهذا من أجل تفويت الفرصة أمام المتاجرين والمسيسين لقضايا الثقافة، اللغة، الهوية، والانتماء.
4. التأكيد على أهمية دور المنظومة التربوية في بناء الأجيال والحفاظ الوحدة والاستقرار وعلى المكتسبات التاريخية والحضارية، إضافة إلى زرع قيم المواطنة والتنشئة الاجتماعية، فهذا يقتضي تعزيز دور المنظومة التربوية وإصلاحها بما يحقق المناعة ضد أي ثقافة غريبة عن مجتمع وعاداته وتقاليده.
5. الاهتمام بالفئة المثقفة والفنانين والأكاديميين في مجالات الثقافة والمجتمع، والذين يمثلون الثقافة المجتمع الأصيلة، والتكفل بهم ماديا ومعنويا، وتشجيعهم على القيام بدورهم في الحفاظ على التنوع الثقافي من أي انحرافات أو طمس خصوصا في ضل التحديات التي تفرضها أخطار العولمة الإعلامية والثقافية في المجتمعات.
6. اشراك وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الهوياتي في الجزائر، لتعاظم دورها في الحياة العامة وقدرتها على نشر الأفكار أو تغييرها من ذهن المتلقي والتأثير فيها، وأيضا لها الدور في صون ذاكرة الأمة وثقافته، فيجب تحديد اولويات للقطاع الاعلامي في الجزائر وفق احترام اخلاقيات المهنة، من أجل مجابهة الأفكار الغريبة عن المجتمع.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ، (الجزائر: دار الأمة، 1996).
2. أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية. ط 2، (الجزائر: دار الأمة، 1997).
3. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر. (القاهرة: دار النهضة المصرية، 1956).
4. أحمد علي كنعان، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية العدد 25،، (سوريا، 2008).
5. اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002).
6. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1989،ج1. (دار المعرفة، 2006).

7. بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان دراسة تاريخية وفكرية مقارنة. (رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة قسنطينة، 2010.
8. حسن سيد سلمان، ظاهرة الاستعمار في افريقيا والعالم العربي، مجلة دراسات افريقية، العدد2، (المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم، أفريل 1986م).
9. حامي حسان، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي، مجلة العلوم الإنسانية والإجماعية، العدد 29، (جامعة مسيلة، جوان 2017)
10. يسعد شريف صحراوي، مسألة الثقافة في الجزائر بين الهوية والاندماج، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، العدد 9 (جامعة الجزائر 3، فيفري 2016).
11. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4. (دمشق: دار الفكر، 2000م).
12. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 3. (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، ب ت).
13. محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، (الجزائر: وزارة الثقافة الجزائرية، 2009).
14. محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر. (دمشق: دار الفكر، 2001).
15. ميمونة مناصرية، هوية المجتمع الجزائري في مواجهة العولمة من منظور اساتذة جامعة بسكرة، اطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، (جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012).
16. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع،ترجمة حنفي بن عيسى. (الجزائر: دار القبة للنشر، 2007).
17. ذياب موسى البديانة، الأمن الوطني في عصر العولمة. (الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2011).
18. عثمان أمقران، نظرات فاحصة في كتاب الجزائر الثائرة، جريدة البصائر، العدد 893، 15 جانفي 2018.
19. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ. (الجزائر: دار الأمة، 2013).
20. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر. (الجزائر: دار ريحانة، 2002).
21. عمر الحاج مسعود، حقيقة الغزو الفرنسي للجزائر وبعض آثاره، مجلة الإصلاح، العدد6، (الجزائر: دار الفضيلة، ديسمبر 2007).
22. كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962) (ترجمة وتعليق نذير طيار). (الجزائر: دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 2016).
23. صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، (الجزائر: مطبعة دحلب، ب ت).
24. أ بن نعوم، الثقافة السياسية في الجزائر بين هشاشة المضمون وسطحية الشكل، يومية الجمهورية، العدد 6115، (نشر يوم 2017/02/25)
25. جمعية الكلمة ترد على وزير الثقافة، جريدة الجزائر الجديدة، العدد 2310، (يوم الاثنين 2016/10/10).

26. معاناة المثقف الجزائري من البيروقراطية في القطاع الثقافي حوار مع المختص في الشؤون الثقافية الدكتور عمار كساب، تم الاطلاع عليه من موقع المرصد الجزائري، (على الرابط : https://marsadz.com/)

27. سالمي العيفة، المحاضرة الخامسة : النظرية ما بعد السلوكية للسياسة العامة، محاظرات في نظريات واساليب صنع السياسات العامة، (كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر3، السنة الدراسية 2013/2014).